مكانة الأمثال فى الأدب العربى

سيد إسماعيل حسينى أجداد*

الملخص

الأمثال فن بيانى يقرب المراد إلى العقول، ويثبت المعانى فى النفوس لأجل إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وتقريب المحسوس إلى المعقول، واكتساب صفة الشيوع؛ ولهذا تسامى هذا اللون البديع فى الأدب العربى، وأصبح حكمة العرب فى الجاهلية والإسلام، وحمل بين ثناياه جوانب شتّى من التراث الفكرى والاجتماعى. المثل يحتفظ بصورته المنطوقة المرسلة، ولايتغير بل يجرى كما جاءت عن العرب، وغرضه التنويه على العواقب المحمودة والمذمومة فى حالة التعرض للأسباب المؤدية إلى تلك العواقب، ولذلک كثرت الأمثال القصصية والقياسية فى الأدب العربى خاصة فى الأدب الجاهلى، وشاعت فى بيئة العرب، وعلى سجيتهم لاكتساب الآداب البارعة فى صورة تمثيلية وحملها على الإدراک.

الكلمات الدليلية: الأمثال، الأدب العربى، الإيجاز، الشيوع، التراث الفكرى، الأدب الجاهلى، القصصية، التمثيلية.

*. عضو هيئة التدريس بجامعة گيلان – أستاذ مساعد.

seydesmail_hoseyniajdadi@yahoo.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٠/٦/٢٦هـ. ش تاريخ القبول: ١٣٩٠/٩/٢هـ. ش

المقدمة

الأمثال فن بيانى يقرّب المراد إلى العقول، ويثبت المعانى فى النفوس، ويرفع الغشاوة عن الحقائق، ويطرح ما يغفلها من أوهام وظنون؛ ويشتمل مضمونه على مقاصد شتّى تنفذ إلى أعماق الجوانب الإنسانية بعد أن يرسخ قوائمه فى الأذهان، فيفصح المضمون عن معانى التقرير والترغيب والاعتبار والزجر والثواب والعقاب.

عندما نتّبع الأمثال فى العربية ندرک ونتأكّد من تسامى هذا اللون البديع، وارتقائه مراتب الفصاحة المعهودة عند العرب. فقد عهدت عند العرب شروط وضعوها للمثل الفصيح وحدّدوها فى إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وجودة الكتابة، فإن لم تتوفّر هذه الشروط للمثل عندهم، لايعدّ فصيحا.

معنى المثل لغة

المثل فى الغة يطلق على الشىء الذى يضرب لشىء مثلا، فيجعل مثله يقال تمثل فلان: ضرب مثلا وتمثّل بالشىء: ضربه مثلا والمثل والمثيل كالمثل والجمع أمثال. (ابن منظور: مادة مثل) قال الله تعالى: ﴿لله المثل الأعلى﴾ (النحل: ٦٠) يريد إنه سبحانه أمر عباده بتوحيده ونفى كلّ إله سواه. فالمثل الأعلى التوحيد الخالص والصفات الإلهية العليا التى لاينازعه فيها أحد سبحانه.

المثل بكسر الميم الشبه، يقال مثل ومثيل وشبه وشبيه بمعنى واحد قال الله عزوجل: ﴿ليس كمثله شىء وهو السميع البصير﴾ (الشورى: ١١) أراد ليس كذاته شئ، فالنفى المطلق يؤكّد على حقيقة وحدانيته وينزّهه عن النظير والمثيل.

سبب تسميته

«إنما سمّى المثل مثلا لأنه مائل بخاطر الإنسان أبدا أى شاخص فيتاسى به، ويتعظ ويخشى ويرجو ويأمر ويزجر.» (ابن رشيق، ١٩٨١م، ج١: ١٨٩)

يقول راغب الأصفهانى: «المثل عبارة عن المشابهة لغيره فى معنى من المعانى أى

معنی کان وهو أعمّ الألفاظ الموضوعة للمشابهة.» (راغب: مادة مثل)

قال الزمخشری: «أصل المثل فی کلام العرب معنی المثل وهو النظیر، لقال، مثل ومثل ومثیل، کشبه وشبه وشبیه.» (الزمخشری، لاتا: مادة مثل) هذا هو الرأی الذی قال به ابن منظور إذا عدّ المثل والمثل بمعنی واحد ویراد بها معنی التسویه. فالمشابهة فی المثل قد یکون من عدة وجوه، کما رأی الأصفهانی فی رأیه المتقدم، وقد تکون المشابهة متساویة للنظیر کما ذهب إلی ذلک الزمخشری وابن منظور.

وقد یفهم ویراد من المثل معان أخری ذکرها الأدباء؛ منها الوصف والنعت. (الحسینی، ۱۳۸۷ش: ۶۲۳) وقد ورد هذا المعنی فی قول الله تعالی عند المفسرین فی الآیتین علی الأقل: ﴿سیماهم فی وجوههم من أثر السّجود ذلک مثلهم فی التوراة ومثلهم فی الإنجیل﴾ (الفتح: ۲۹) وقد فسّر المثل بمعنی الوصف فی هذه الآیة. (الزمخشری، ۲۰۰۸م، الجزء الرابع: ۳۴۹؛ والطبرس، ۱۳۸۸ش، الجزء الخامس: ۱۵۵)

وقد جاء بمعنی الوصف فی آیة: ﴿مثل الجنة التی وعد المتقون تجری من تحتها الأنهار﴾ (الرعد: ۳۵) أیضا فی رأی المفسرین. (خرمدل، لاتا: ۶۰۷؛ وأیضا سبحانی، ۱۳۸۶ش: ۱۰)

وأنکر هذا المعنی أبوعلی الفارسی، ولکن الزرکشی أثبتها فی کتابه المسمّی بالبرهان. (زرکشی، لاتا، ج۱: ۴۹۰)

والتمثال الصورة المصورة، والجمع التماثیل وفی ثوبه تماثیل أی صوّر حیوانات مصورة. ومثّل له الشئ صوّره، حتی کأنه ینظر إلیه امتثله هو تصورّه. ومثلت له کذا تمثیلا إذا صوّرت له مثاله بکتابة، وغیرها. (المصباح المنیر: مادة مثل)

فالأصل فی مادة ''مثل'' کما نری إنها مستعدّة من دلالة حسیة تتعلق بالشخوص والأشکال المنحوتة والصور والرسوم وغیرها ثمّ اطلقت الکلمة علی القول المغتضب المشهور الذی تتداوله ألسنة الناس. (میرزا محمد، ۱۳۸۸ش: ۱۶۴) وینزل بموقع فی أذهانهم لفشوه وانتشاره فیصیر فی أفضلیته وبیانه کالعلامة أو الشاهد الذی یقاس علیه فکأنه یجعل مقیاسا لغیره. ویبرز من خلال الشیء المصور معنی المشابهة والمشاکلة ولهذا نری

اللفظ يرد على معنى الشبيه والنظير وهو المستفاد من التصوير.

قد اشتقق العرب من المادة لفظا يؤدى معنى القصاص أى العقاب بالمثل، وأطلقوا عليه ''المثال'' بكسر الميم، وامتثل منه اى اقتصّ وأخذ المثال بمعنى القصاص. (الزمخشرى، لاتا: مادة مثل)

فقاسوا على إقامة الحدّ، ورأوا فى ذلک معنى المشابهة والمشاكلة وذلک بأن يجعل شخص نظير شخص آخر فى القتل فيقتل كفؤا بكفء (نفسه) ومن ثمّ فقد أطلقوا على القصاص لفظة ''المثال'' والتمثيل بالقتلى مأخوذ من هذه الكلمة كما نهى النبى (ص) عن أن يمثّل بالدواب وأن يؤكل الممثول بها. (المجلسى، ۱۴۰۴ق، ج۶۲: ۳۲۹)

لا عجب أن نرى العرب يتبارون فى المكاشفة عن روائع الأسرار اللغوية من خلال تلک الأمثال وإنّما قصدوا بذلک أن ينبّهوا إلى ما تتميز به تلک الأمثال من سمو البلاغة وبديع البيان وقدسبروا أغوارها وأدركوا جمالها وحسن تقسيمها وهم المتذوّقون لمعانى الفصاحة التى يحويها تراثهم الأصيل. عندئذ كثر الأمثال دورانها على ألسنتهم، وألفوا سماعهم وسهل عليهم حفظها لاجتماع ضروب البيان فيها كما ذكرت ولم يكن هناک عائق أو ضروب يكتنفها فنزلت إليهم فى بيئتهم الاجتماعية، واحتلّت مكانة كبيرة بينهم بل إنها سبقت غيرها من الألوان الأدبية فى الشيوع والانتشار وسائر فنون اللغة كالشعر والخطابة وبالتالى تيسّر لديهم أمر حفظها وتدوينها.

مكانة الأمثال عند الأدباء

قال أبوعبيد: «الأمثال حكمة العرب فى الجاهلية والإسلام وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ به ما حاولت من حاجاتها فى المنطق بكناية غير تصريح فيجتمع لها بذلک ثلاث خلال: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وقد ضربها النبى (ص) وتمثّل بها هو ومن بعده من السلف.» (السيوطى، لاتا، ج۱: ۴۸۶)

ويؤكّد بأنّ المثل السائر يحوى تلک الجوانب الرفيعة التى هى أروع ضروب البيان، ويوافقه فى هذا ما قاله إبوإسحاق النظام: «يجتمع فى المثل أربعة لاتجتمع فى غيره من

الكلام: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة.» (ابن القيم الجوزية، لاتا: ٣٣)

يقصد أبوعبيد بقوله "كناية غير تصريح" ما تتميز الأمثال العربية القديمة من جلاء الفكرة والبراعة فى تحديد المضمون من غير إسهاب فى العرض أو تكرار يفضى إلى الخلل والقصور فهى تعمد على الإشارة الخاطفة التى يتوفّر معها الإيجاز فى اللفظ والإصابة فى المعنى والبراعة فى التقسيم ولذلک كانت تلک الأسس من مستلزمات أمثالهم وبها تبلغ ذروة البيان.

عرّف الفارابى المثل بقوله: ما ترضاه العامة والخاصة فى لفظه ومعناه حتى ابتذلوه فيما بينهم وفاهوا فى السراء والضراء ووصلوا به إلى المطالب القصية وتفرجوا به عن الكرب والمكروبة وهو من أبلغ الحكمة لأن الناس لايجتمعون على ناقص أو مقصر فى الجودة أو غير مبالغ فى بلوغ المدى فى النّفاسة. (السيوطى، لاتا، الجزء الأول: ٤٨٨)

أما النادرة فحكمة صحيحة يؤدى عنه المثل إلا أنها لم تشع فى الجمهور ولم تجر إلا بين الخواص، وليس بينهما وبين المثل إلا الشيوع وحده. عبارة الفارابى توحى بمدى الاهتمام الذى بذله العرب نحو الأمثال، وتدل على شيوعها الكثير واستحواذها على غالب فنونهم النثرية والشعرية إلى درجة إطلاقها فى مجالسهم ومنتدياتهم وحروبهم وأفراحهم وأتراحهم، فهى منبثقة عن الواقع الاجتماعى والظروف التى كانوا يمرون بها فى بيئتهم، فكم نرى قد عوّلوا عليها واتخذوا منها متنفسا بالشدائد والحوالک التى تباغتهم، وفى اجتماعهم عليها والاعتداد بها ما ينوّه على جودتها ونفاستها وسمو مكانتها لديهم.

قال الزمخشرى: «الأمثال قصارى فصاحة العرب العرباء، وجوامع كلمها، ونوادر حكمها، وبيضة منطقها، وزبدة حوارها وبلاغتها التى أعربت بها عن القرائح السليمة والركن البديع إلى دراية اللّسان حيث أعجزت اللفظ وأشبعت المعنى وقصرت العبارة وأطالت المغزى ولوّحت فأغرقت فى التّصريح وكنّت وفأغنت عن التصريح.» (الزمخشرى، ١٩٨٧م، الجزء الأول: ٢)

إن تمثيل المعنى المجرّد يجعل له وقعا فى النفس إذ تستخدم النفس أكثر من وسيلة لاستيعاب هذا المعنى بعد اقترانه بشيء محسوس، فالمحسوس يقرّب المعقول إلى الأذهان والقلوب. إذن «لضرب المثل شأن لايخفى ونور لايطفأ، يرفع الأستار عن وجوه الحقائق ويبرز المتخيل فى معرض اليقين ويجعل الغائب كأنّه شاهد وربما تكون المعانى التى يراد تفهيمها معقولة صرفة، فالوهم ينازع العقل فى إدراكها حتى يحجبها عن اللّحوق بما فى العقل فبضرب الأمثال تبرز فى معرض المحسوس، فيساعد الوهم العقل فى إدراكها، وهناک تنجلى غياهب الأوهام ويرتفع شغب الخصام.» (الآلوسى، ١٩٧٨، ج١: ١٦٣)

قال المرزوقى فى معنى المثل بأنها جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسلة بذاتها، فتتّسم بالقبول وتشتهر بالتداول، فتنقل عما وردت فيه إلى كلّ ما يصلح قصده بها من غير تغيير يلحقها فى لفظها وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعانى، فلذلک تضرب وإن جهلت أسبابها التى خرجت عليها واستجيز من الحذف فى مضارع ضرورات الشعر فيما لايستجاز فى سائر الكلام. (السيوطى، لاتا، ج١: ٤٨٦)

هذا معناه أن المثل يظل محتفظا بصورته المنطوقة المرسلة من غير حصول تباين أو تفاوت بين أجزائه المركبة فى إيجازها وحسن تقسيمها وهو مع ما يتضمّنه من شدّة الإيجاز إلا أنه يتّسم بالقبول عند التلفّظ به فلاتمجّه الآذان لبراعته وجودة بيانه، وإذا جعل الكلام مثلا كان آنقا للسمع وأوضع وأعذب للنفس أن تدرک كنه فصاحته وأوسع لشعوب الحديث.

إذن الأمثال لاتغير بل تجرى كما جاءت عن العرب، فالأمثال يتكلم بها كما هى فليس لک أن تطرح شيئا من علامات التأنيث فى «اطرئ فإنک ناعلة» وهكذا جميع الأمثال لايجوز تغييرها، ويجب على طبهّا. (الزمخشرى، ١٩٨٧م، الجزء الأول: ٤)

فالحاصل أنه يشترط فى المثل أن يكون كلاما بليغا شائعا مشهورا أو مشتملا على حكمة بالغة فيه مبالغة فى البيان والكشف، فالقرآن الكريم نهج نهج العرب فى أساليبهم فضرب الأمثال التى تجلى المعانى أتمّ جلاء، وتحدّث فى النفوس من الأثر ما لايقدر

قدره ولايسبره غوره.

قدمة الأمثال

يمكن أن نعدّ الامثال من بقايا أقدم النثر العربى لما يبدو أنّ بعضها كان سائرا مشهورا فى الجاهلية وكثيرا ما تشير هذه الأمثال إلى أحداث ووقائع معينة حصلت قديما ولكنها انطوت فى زوايا النسيان بيد أن من عنوا بجمعها من الأدباء لم يقعوا مرة فى حيرة من تفسيرها وإيضاحها ولكن ما روى فى هذا التفسير ليس أجدر بالثقة من قصصهم فى شرح الأبيات المبهمة، وبالتالى يمكن القول بأنّ فن التاثير بالكلام المتخير، الحسن الصياغة والتأليف فى أفكار الناس وعزائمهم قد ازدهر عند العرب الجاهلية وأن هذا الفن قد اشتمل أيضا على بذور النمو الأدبى المتأخر. (بروكلمان، لاتا، ج١: ١٢٩)

من جانب آخر يمكننا أن نقول بأن العرب يتمازون بأمثالهم المبنية على الحوادث أى المناسبات والأحوال التى كانوا يمرون بها والأمثال عندهم نوعان:

١. أمثال حكمية كقولهم «الجار ثمّ الدار» و«الحرب خدعة» و«العتاب قبل العتاب» ونحوها مما يتناقله الناس فى الأعقاب وترويها الأمم بعضها عن بعض وأقدم مجموع لها أمثال سليمان وأكثر الأمم قد أخذت عنها. وهى عند العرب مقتبسة من التوراة وأمثال الهند والفرس والروم. فضلا عما يرونه عن أسلافهم وحكمائهم كأكثم بن صيفى، وغيره، وينسبون أمثالا كثيرة إلى لقمان الحكيم. (زيدان، لاتا، ج١: ٥٦)

٢. الأمثال المبنية على الحوادث خاصة بالعرب لأن الحوادث جرت لهم كقولهم: «قطعت جهيزة قول كلّ خطيب والصيف ضيعت اللّبن» وهم يؤثرون تلك الأمثال عن قائليها. (ابن الأثير، لاتا، ج١: ٥٣)

النوع الأول من الأمثال العربية يجرى مجرى الحكمة، وأحيانا يأخذ صورة النكتة الأدبية البارعة ويقتصر فى جملته على عدد معلوم من الألفاظ وقد كان العرب يتغنون بهذه الآداب البارعة، ويؤثرون الاستشهاد بها فى المواطن التى تتطلب ذلک. أما الأمثال المبنية على الحوادث فهى منتزعة من الواقع الاجتماعى الذى ألّفه العرب واشتمل على

بيئتهم فكثر ذكرها فى المحافل والمنتديات وكانوا أحفظ لها وأعلم بمن تنسب إليه.

أقوال الحكماء التمثيلية فى الجاهلية

المثل السائر فى كلام العرب كثير نثرا ونظما، وأفضله أوجزه، وأحكمه أصدقه، وقولهم مثل شرود أى سائر لايردّ، وزعم قوم أنّ الشرود ما لم يكن له نظير كالشاذ أو النادر، فأما قول أبى تمام وكان إمام الصنعة ورئيسها:

لاتنكروا ضربى لــه من دونــه مثلا شــرودا فى الندى والبأس
فــاللّه قد ضــرب الأقــلّ لنوره مثلا من المشــكــاة والنبــراس

(أبوتمام، ٢٠٠١م: ٤٠٢)

حين عيب عليه قوله فى ابن المعتصم الخليفة العباسى:

إقدام عمرو فى سماحة حاتم فى حلم أحنف فى ذكاء إياس

(نفسه)

فإنّه يشهد للقول الأوّل لأنّ المثل بعمرو وحاتم مضروب قديما وليس بمثل لا نظير له. (القيروانى، ١٩٨١م، الجزء الأول: ٢٨١)

إنّما سمّى المثل المشهور سائرا لفشوه وكثرة تناقله وتداوله على ألسنة النّاس، وينبغى لنا فى هذا الصّدد أن نعرض نموذجا من الشّواهد النثرية فى الأمثال العربية القديمة فى الجاهلية والإسلام.

نبدأ بالحكمة العربية فى آدابها العالية التى تشفّ عن صفاء الفكر وسلامة الذوق، يقول أكثم بن صيفى الحكيم المشهور: «فضل القول على الفعل دناءة وفضل الفعل على القول مكرمة.»

فقد ذمّ المبالغة فى القول من غير نية العمل وأثنى على الفعل المصحوب بالاجتهاد. وله فى الآداب الاجتماعية: «المناكح الكريمة من مدارج الشرف والوقوف عند الشبهة خير من اقتحام الهلكة، وربّ صبابة غرست لحظة. وربّ قرب شبّت من لفظة، وربّ كلمة سلبت نعمة، وربّ ملوم لاذنب له، ورضا الناس غاية لاتدرک.» فقد جمعت كلماته

مأثور القول وشملت جوانب الفصاحة.

من بديع ذلک فى الأمثال السائرة قول قسّ بن ساعدة: «من مات فات، وكلّ ما هوآت آت. إن فى السماء لخبرا وفى الأرض لعبرا. تقاربوا بالمودة ولاتتّكلوا على القرابة. خير المال ما قضى به الحق وأحمد البلاغة الصمت حين لايحسن السكوت، وأبلغ العظات النظر إلى محل الأموات.»أحسن ما فى هذه الحكم أنها تعبر عن المعانى الكثيرة والفوائد الجّمة بالألفاظ القليلة وهو ما سارت عليه الأمثال فى الجاهلية.

قد اشهر قسّ بن ساعدة عند العرب وضربوا به المثل فى الخطابة وسمو البيان فقالوا فى ثنائهم على أهل الفن «أبلغ من قسّ» وذكروا عنه أنه أول من كتب «من فلان إلى فلان» وأول من قال «أمّا بعد» وأول من قال «البينة على من ادّعى واليمين على من أنكر» وقد عمّر مائة وثمانين سنة. (البغدادى، لاتا: ٢٦٨)

هكذا امتزجت حكمه نثرا ونظما بطابع الزهد واليقين بالحساب والمكاشفة بالأعمال وكلامه صادر عن وجدان الصادق يجيش بأبلغ المواعظ، وينطق بالتذكرة الواعية التى جعلته أهلا لنيل مكانة سامية بين قومه فى البيان.

يمكننا هنا أن نعرض نموذجا من الشّواهد الشعرية من نوع الأمثال المنظومة لأن الأبيات السائرة لشعراء العرب سطعت ولمعت ببديع الحكمة وجرت على ألسنة الناس مجرى الأمثال وأدرجت فى عداد الألوان البديعية الأدبية عند ما توفرت فيها شروط الفصاحة والواقع أن الأبيات الشعرية تكاد تنحصر فى الشعراء المعروفين على مر العصور، وهم الذين لاقت أشعارهم رواجا واسعا فى ميدان الأدب وتناقلتها الأجيال إلى أن أخذت مكانها فى ذخائر العرب وتراثهم الأصيل.

من أفضل الأشعار التمثيلية التى يتمثّل بها من أشعار الجاهلية المستحسنة قول زهير ابن أبى سلمى:

ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ... ومن لايكرّم نفسه لايكرّم

ومهما يكن عند امرئ من خليقة ... وإن خالها تخفى على الناس تعلم

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة ... يضرّس بأنياب ويوطأ بمنسم

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يـفره ومـن لايتّـق الشّتم يشـتم
ومن يک ذا فضـل فيـبخل بفضـله علـى قومه يسـتغن عـنه ويذمـم
ومن هـاب أسبـاب الـمنايا ينـلنه ولـو رام أسـبـاب السّماء بسلّـم

(ابن ابی سلمی، ۲۰۰۳م: ۱۱۱)

لقد جمعت هذه الأبيات للقيم العربية فی صورتها المثلی وخاطبت المجتمع العربی بلسان الحكمة الواعية، وقد تعدّدت فی أساليبها الخبرية المقرونة بالشرط والجزاء الذی يترتب عليه حرصا على تدعيم هذه القيم، وغرسها فی نفوس قومه، وتنويها على عواقب الأمور. فالأخبار المتوالية تنبيه، وتقوم على التبصير بأهمية الأواصر الاجتماعية، ويغلب عليها النصح والإرشاد فهو يذكر بالمعروف والكرم والشجاعة والأنفة ونجدة الصريخ إلى غير ذلک ممّا تشتمل عليه الأبيات من بديع الحكمة العربية وفی هذه الأخبار يطلق الحقائق لتسری فی النفوس ولهذا أكثر تكرار الموصول الشرطی «من» وأراد به مطلق العموم على سبيل الحث والترغيب فی التمسّک بهذه الأصول.

وأبدع ما ذكره عن مصير الإنسان المحتوم، التشبيه البليغ فی قوله «أسباب المنايا» والأسباب بمعنى النواحی وإنما عنی بها من يناله كراهة لأن المنايا تنال من يهاب ومن لايهاب، ومفردها منية وهی الموت ونظير هذا قوله تعالى: Cقل إن الموت الذی تفرّون منه فإنّه ملاقيكمB والموت يلاقی من فرّ ومن لايفرّ وقصد زهير قطع أسباب الفرار من الموت لأنه حق قضی به على كل نفس.

ومن الأمثال السائرة المنسوبة إلى زهير:

إنّ الحـــقّ مقطـعـه ثلاث يمـيـن أو نـفار أو جـلاء

(ابن ابی سلمی، ۲۰۰۳م: ۱۸)

يريد إن الحق إنما يصحّ بواحدة من هذه الثلاث: يمين أو محاكمة أو حجّة واضحة فليس بغريب أن نتعجب من معرفته بمقاطع الحقوق. سمی زهير «قاضی الشعراء» بهذا البيت، وهذه الثلاث على الحقيقة هی مقاطع الحق كما قال، على أنه جاهلی وقد وكّدها الإسلام. (القيروانی، ۱۹۸۱م، الجزء الأول: ۵۵) ومن الأمثال المنسوبة إلى امرئ القيس:

الله أنــجـح مــا طلـبت بـه والبّـــر حقيـــبـــة الـــرجل

(امرؤالقيس، ١٩٨٩م: ٣٦١)

يقال فی صدق التوكل والثقة بالله عز وجل وصور البر بشیء محسوس له قيمته بالنسبة للإنسان، وعليه اقتناؤه فهو ذخر ثمين.

وله فی القناعة والرضا:

وقد طوّفت فــی الأفاق حتی رضيــت من الغنيمــة بالإياب

(امرئ القيس، ١٩٨٩م: ٣٨٩)

الأمثال الرمزية

يقصد بالمثل الرمزی ما اخترع علی لسان الحيوان أو الجماد ويصاغ فی قالب قصصی وأسلوب خاص يراد منه تقرير الوقائع التی تمسّ حياة الإنسان وتبصيرهم بعواقب الأمور، وبالتالی فهو يحقّق غرض التأثير ويصحبه الحث والإغراء كما يصحبه الزّجر والتنفير تبعا للمضمون القصصی والحدث المرموز له ولنا فی هذا الصدد أن نستشهد بأحد الأمثلة الرمزية لنستنبط بعض خواصها وأغراضها:

«كيف أعاودک وهذا أثر فأسک.» (الميدانی، ١٣٦٦ش: ٩١) وهذا المثل الرمزی يضرب لمن لايفی بالعهد وينقضی المواثيق وأصله ما حكته العرب علی لسان الحية أنّ أخوين كانا فی إبل لـهما فأجدبت بلادهما وكان بالقرب منها واد خصيب وفيه حية تحميه من كل أحد، فقال أحدهما للآخر: يا فلان لو أنی أتيت هذا الوادی الممتلیء فرعيت فيه إبلی وأصلحتها؛ فقال له أخوه: إنی أخاف عليک الحية. ألا ترى أن أحدا لايهبط ذلک الوادی الّا أهلكته. قال فوالله لأفعلنّ. فهبط الوادی، ورعی فيه إبله زمانا ثمّ إنّ الحية نهشته فقتلته. فقال أخوه: والله ما فی الحياة بعد أخی خير فلأطلبنّ الحية ولأقتلنّها أو لأتبعن أخی. فهبط ذلک الوادی وطلب الحية ليقتلها فقالت له الحّية: ألست ترى أنی قتلت أخاک؟ فهل لک فی الصلح، فأدعک بهذا الوادی تكون فيه وأعطيک كل يوم دينارا ما بقيت؟

قال: أفاعلة أنت؟ قالت: نعم. قال أنى أفعل. فحلف لها وأعطاها المواثيق لايضرّها وجعلت تعطيه كل يوم دينارا، فكثر ماله حتى صار من أحسن الناس حالا ثمّ إنه تذكّر أخاه فقال: كيف ينفعنى العيش، وأنا أنظر ألى قاتل أخى؟

فعمد إلى فأس فأخذها ثم قعد لها فمّرت به فتبعها فضربها فأخطأها ودخلت الجحر، ووقعت الفأس بالجبل فوق جحرها، فأثّرت فيه. فلما رأت ما فعل قطعت عنه الدينار. فخاف الرجل شرّها وندم فقال لها: هل لک فى أن نتواثق ونعود إلى ما كنّا عليه؟ فقال كيف أعاودک وهذا أثر فأسک؟

المثل كما ترى تتضمّن مبالغة واضحة ولعل الإغراق فى الخيال قد أحاطه لتلک المبالغة وهو من خصائص التعبيرات الرمزية فى تلک الأمثال وقد انبثق هذا المثل عن البيئة الرعوية حيث الإبل والوادى الخصيب ومتطلّبات السعى وراء تلک المروج فى حاله حصول الجدب.

من جانب آخر لايخلو هذا المثل من جوانب إنسانية تتعلّق بما كان يعدّ عند العرب أصيلا كالنخوة العربية والشهامة التى تتطلّب الاقتصاص من الظالم إلى جانب تقديم المشورة والجلد فى مواجهة النوازل وتحطيم قيود الصحاب والمثابرة فى بلوغ المراد إلى غير ذلک من الأغراض التعليمية التى يمكن استخلاصها من خلال المثل.

ومن الأمثال الرمزية الأخرى فى هذا الصدد «لاأحبّ تخديش وجه الصاحب»؛ الذى يضرب للرجل الذى يريک من نفسه النصيحة، ثمّ يغدر. وشرح المثل أن الثعلب رأى حجرا أبيض بين لصبين، فأراد أن يغتال به الأسد، فأتاه ذات يوم فقال: يا أبا الحارث! الغنيمة الباردة، شحمة رايتها بين لصبين، فكرهت أن أدنو منها، وأحببت أن تولى ذلک أنت فهلمّ لأريكها، فانطلق حتى قام به عليه. فقال دونک يا أبا الحارث، فذهب الأسد ليدخل فضاق به المكان. فقال له الثعلب: ادفع برأسک، فأقبل الأسد يدفع برأسه حتى نشب فلم يقدر أن يتقدم ولا أن يتأخّر ثمّ أقبل الثعلب يخوره أى يخدش خورانه من قبل دبره، فقال الأسد ما تصنع يا ثعالة؟ قال أريد لأستنقذک، قال فمن قبل الرأس إذن فقال الثعلب: «لاأحبّ تخديش وجه الصاحب.»

قد اختاروا التمثيل بالثعلب فى تدبير الشرّ لغلب مكره وشدّة حيله ورمزوا به إلى كل غادر لايتورع عن تدبير الكيد، وصنع السّوء، ولومع الكبراء فإذا كشف عن نية غدره لجأ إلى تبرير موقفه، وإقصاء التهمة عنه بأسلوب الحيلة والمخادعة، وهذا ما يعدّ من شرار الخلق وأشدّهم خطرا لانطوائه على الخبث والرذيلة.

هكذا كثر دوران تلك الأمثال الرمزية على ألسنة العرب للغرض التعليمى من تقديم نصيحة غالية أو عرض مشهورة نافعة أو اتباع رأى سديد يهدف إلى التحرّر من قيود اليأس عند تأزّم المواقف وإيجاد الوسائل الفعّالة لمواجهة ما يعرض لهم من ظروف عصيبة تسلتزم الحكمة الواعية فى التخلّص والمدافعة، ولذلک كانت الأمثال الرمزية القصصية، تنتهى إلى غاية واحدة تبرّر مجرى أحداث وظهورها على كيفية خاصّة، ولاتخرج تلک الغاية عن الأمور تتعلّق بواقعهم الاجتماعى، وتلزمهم بالتنبّه والصحوة لما يتوقّعونه وما لايتوقّعونه.

الهدف من الأمثال

إن العرب قد أبدوا اهتماما ملحوظا بالأمثال السائرة عن أسلافهم لما تحويه من ألفاظ فصيحة وخصائص لغوية وبيانية رفيعة. فعلى هذا، علماء العرب والأدباء لايزالون يضربون الأمثال ويبينون للناس تصرّف الأحوال بالنظائر والأشباه والأشكال، ويرون هذا النوع من القول أنجح مطلبا وأقرب مذهبا ولذلک قال الله تعالى: ﴿لقد صرّفنا فى هذا القرآن من كل مثل﴾ (الإسراء: ٨٩) أو قال الله فى جانب آخر ﴿وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال﴾ (إبراهيم: ٤٥)

إنّما فعلت العلماء ذلک لأنّ الخبر فى نفسه إذا كان ممكنا فهو يحتاج إلى ما يدلّ عليه وعلى صحّته؛ والمثل مقرون بالحجة والبرهان.

قد جعلت القدماء أكثر آدابها وما دوّنته من علومها بالأمثال والقصص عن الأمم، ونطقت ببعضه على ألسنة الوحش والطير، وإنّما أرادوا بذلک أن يجعلوا الأخبار مقرونة بذكر عواقبها، والمقدمات مضمونة إلى نتائجها، وتصريف القول فيها حتى يتبين لسامعيه

ما آلت إليه أحوال أهلها عند لزوم الآداب وتضييعهم إياها.

لعلّ فى ضرب الأمثال وقص الأقاصيص عمّن سلف فى الأمم الغابرة ممّن آثر هواه وخسر دينه ودنياه، تحقيق العبرة وسوق التذكرة لمن يؤثر رضا الله ويرجو أن يختم على خير وتحمد عقباه قال الله تعالى: ﴿ولقد وصلنا لهم القول لعلّم يتذكّرون﴾ (القصص: ٥١)

لقد بين الهدف من الأمثال فى بعض الآيات؛ قال الله: ﴿ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾ (إبراهيم: ٢٥)؛ ﴿تلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكّرون﴾؛ ﴿تلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ (عنكبوت: ٤٣) إذن يمكننا استنتاج ثلاث مراحل لتأثير الأمثال على النفوس. المرحلة الأولى: مرحلة التذكر وهى مرحلة مرور حقيقة الخطاب الإلهى فى الذهن، والمرحلة الثانية: مرحلة التفكر فى موضوع المثل وحكمته، والمرحلة الثالثة: مرحلة التعقل وهى مرحلة الإدراك وهضم الحقائق. (مكارم شيرازى، ١٤٢٩ق: ١٦)

فعلى هذا ضرب العرب الأمثال، واستحضر العلماء المثل والنظائر، لأنه له شأن ليس بالخفى فى إبراز خفيات المعانى ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريک المتخيل فى صورة المحقق والمتوهم فى معرض اليقين والغائب. كأنه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الألدّ وقمع لصورة الجامح الأبى ولأمر ما أكثر الله فى كتابه المبين أمثاله وفشت فى كلام رسول الله وكلام الأنبياء والحكماء. (الزمخشرى، ٢٠٠٨م، ج١: ١٠٩)

النتيجة

المثل جملة من القول مقتضبة من أصلها تشتهر بالتداول فتنقل عما وردت فيه إلى كل ما يصلح قصده بها من غير تغيير لفظها فعلى ما ذكرنا فى هذا المقال وصلنا إلى النتائج التالية:

١. الأمثال فن بيانى، وهو يقرّب المراد إلى العقول ويثبت المعانى فى النفوس ويرفع الغشاوة عن الحقائق.

۲. الأمثال حكمة العرب فی الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها فتجتمع لها أربعة شروط: إيجاز اللفظ وإصابة المعنی وحسن التشبيه وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة.

۳. يشترط فی المثل أن يكون كلاما بليغا شائعا مشهورا أو مشتملا علی حكمة بالغة فيه مبالغة فی البيان والكشف. فبضرب الأمثال تجلّی المعانی أتمّ جلاء وتحدّث فی النفوس من الأثر ما لايقدر قدره ولايسبره غوره.

المصادر والمراجع

الآلوسی، شهاب الدين. ۱۹۷۸م. *روح المعانی*. المجلد الأول. بيروت: دار الفكر.

ابن أبی سلمی، زهير. ۲۰۰۳م. *الديوان*. تحقيق علی الفاعور. الطبعة الثالثة. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الأثير. لاتا. *المثل السائر فی أدب الكاتب والشاعر*. تحقيق الدكتور أحمد الحوفی والدكتور بدوی طبانة. القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.

ابن القيم الجوزية. ۱۹۸۱م. *الأمثال فی القرآن الكريم*. تحقيق سعيد محمد نمر الخطيب. بيروت: دار المعرفة.

ابن منظور. ۱۴۰۵ق. *لسان العرب*. قم: نشر أدب الحوزة.

أبوتمام. ۲۰۰۱م. *الديوان*. شرح خطيب القزوينی. المجلد الأول. بيروت: دار الفكر العربی.

امرؤالقيس. ۹۸۹م. *الديوان*. تحقيق حنّا الفاخوری. بيروت: دار الجيل.

بروكلمان، كارل. لاتا. *تاريخ الأدب العربی*. ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار. الطبعة الثانية. قم: دارالكتاب الإسلامی.

البغدادی. لاتا. *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

الحسينی، السيد جعفر. ۱۳۸۷ش. *أساليب البيان فی القرآن*. الطبعة الأولی. قم: چاپ ونشر دفتر تبليغات السلامی.

خرم دل، مصطفی. لاتا. *تفسير نور*. چاپ اول. تهران: چاپخانه حيدری.

الراغب الأصفهانی، حسين بن محمد. لاتا. *المفردات فی غريب القرآن*. مكتبة نزار مصطفی الباز.

الزركشی، بدر الدين محمد. لاتا. *البرهان فی علوم القرآن*. التحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم.

الزمخشری، جار الله. لاتا. *أساس البلاغة*. تحقيق عبدالرحيم محمود.

ـــــــــــــ ١٩٨٧م. *المستقصى فی أمثال العرب*. الجزء الأول. بيروت: دار الكتب العلمية.
ـــــــــــــ ٢٠٠٨م. *الكشاف عن حقائق التنزيل*. تحقيق عبدالرزاق المهدى. الطبعة الأولى. بيروت: دار إحياء التراث العربى.
زيدان، جرجى. لاتا. *تاريخ آداب اللغة العربية*.
سبحانى، شيخ جعفر. ١٣٨٦ش. *أمثال القرآن التعليمية*. الطبعة الثانية. قم: مطبعة التوحيد.
السيوطى، جلال الدين. لاتا. *المزهر فی علوم اللغة وأنواعها*. دار إحياء الكتب الإسلامية.
الطبرسى. ١٣٨٨ش. *مجمع البيان*. چاپ اول. قم: انتشارات نور وحى.
الفيومى، أحمد بن محمد بن على. ١٩٨٧م. *المصباح المنير*. بيروت: مكتبة لبنان.
القيروانى، ابن رشيق. ١٩٨١م. *العمدة فی محاسن الشعر وآدابه ونقده*. التحقيق محمد محى الدين عبد الحميد. الطبعة الخامسة. بيروت: دار الجيل.
مجلسى، محمد باقر. ١٤٠٤ق. *بحار الأنوار*. بيروت: مؤسسة الوفاء.
مكارم شيرازى، ناصر. ١٤٢٩ق. *أمثال القران*. ترجمة تحسين بدرى. قم: دار النشر للإمام على بن أبى طالب.
الميدانى. ١٣٦٦ش. *مجمع الأمثال*. الجزء الثانى. مشهد: مؤسسة الطبع والنشر للآستانة الرضوية المقدسّة.
ميرزا محمد، عليرضا. ١٣٨٨ش. *أثر المثال القرآنية على أشعار الفيض، فصلية الأدب المقارن*. جامعة آزاد الإسلامية فى جيرفت. السنة الثالثة. العدد التاسع.

Alusi, Shihab-Eldin, rooh al maani, Volume I, Beirut, Dar Alfekr, 1978.
Ibn Abi Salma, Zuhair, Diwan, investigation Faour, third edition ,Beirut, Dar Al kotob Alelmeie, 2003.
Ibn al-asir, goes the proverb in the literature Registerer and poet, Dr. Ahmed alhoofi and Dr Tabana , Cairo, Egypt for revival house printing and publishing, the first part, without history.
Ibn rashig girvani, the mayor of the charms of poetry, etiquette, and his criticism, the investigation Mohammed Mohiuddin Abdul Hamid, the fifth edition ,Dar Al-jeel, 1981.
Ibn Qayyim aljoziee, Proverbs in the Holy Quran, achieving Saeed Mohammed Nimr al-Khatib, Dar Almarefat, Beirut, 1981.
Ibn al manzoor, lesan al Arab , Qom, publish literature estate,.1405
Abutmam, Diwan, Al-Qazwini Khatib explained, Volume I, Dar Alfekr Arab, Beirut, First Edition, 2001.
eMraeo al gais, Diwan, to investigate Hanna Fakhouri, Dar-al jeel ,Beirut,

First Edition, 1989.
Brokelman, Karl, history of Arab literature, translated by Dr .Abdul-Halim al-Najjar, second edition, Qom, Daralketab alslami.
Baghdadi, khazanatol arab, loob lobab leSan-Arab, Dar Sader, first edition, without date.
Husseini, Mr. Jaffer, the methods of the statement in the Qur'an, the first edition, Qom, As advertising, publishing office, 1387.
Khorramdel, Mustafa, tafsir alnoor, printing, printer Heidari, Tehran, without date.
Raghib Isfahani, Hussein ibn Muhammad, in a strange vocabulary of the Qur>an,>s library Nizar Mustafa Baz, without date.
Zrkshy Badr al-Din Muhammad, proof of Science in the Quran, the investigation Mohamed Ibrahim Abulfazl , without date.
Zmkhshry , jar allah, the basis of rhetoric, achieving Rahim Mahmoud ,without date.
_____, alkashaf, to achieve the Mahdi Abdul Razak, the first edition, Beirut, Dar Al-Arab alehya, 2008.
_____, Investigator in the likes of the Arabs, Part I, dar al kotob alarabeia ,Beirut, second edition, 1987.
Zidane, Georgi, history of Arabic literature, without date.
Subhani, Jafar Sheikh, the proverbs of Koran education, second edition, Qom, toohid Print,1386.
Suyuti, Jalal al-Din, almozher in the science of language and types ,dar alehia alkotob aleslameie , Part I, without date.
Altbrsy, majmae al Bayan, Qom, published by noorvahye, 1388.
Fayoumi, Ahmed bin Mohammed bin Ali, Almesbah al moneer, Lebanon>s library, 1987.
Majlisi, Bihar Alanvar, Alvfa' Institute, Beirut, 1404.
Shirazi, Nasser, the proverbs of Quran, translation tahseen Badri, Qom, Dar alnashr Ali ibn Abi Talib , Third Edition, 1429.
Almydany, the compound of Proverbs, Moasaset printing and publishing of Astana Qods Razavi, Part II, 1366.
Mirza Muhammad, Ali Reza, Impact on the Quranic verses saying faiez, Quarterly Comparative Literature, Islamic Azad University of Jiroft, the third year, ninth issue, Spring 1388.